

فيل عن السيد المسيح في هذه الأيام، إنه كان (قد ثبت وجهه نحو أورشليم) إنها نظرة ثابتة، وخطوة ثابتة، نحو هدف ثابت. هذا الهدف كان واضحًا منذ البدء. ألم يقل لأمه في طفولته، في سن 12: "ينبغي أن أكون فيما لأبي" (لو 2)? إنه بهذا يعطينا فكرة عن وضوح الهدف وثباته.

1 الهدف في الحياة الروحية

كان دانيال النبي واضحًا في هدفه، وهدفه كان رب وحده.

لذلك عندما عاش في قصر الملك، لم يكن هدفه القصر ولا الملك ولا الوظائف. وللهذا أمكن أن يحفظ نفسه طاهرًا في الغربة. وقال عنه الكتاب: "وأما دانيال، فجعل في قلبه ألا يتتجس بأطيايب الملك ولا بخمر مشروبه" (1: 8)، وهكذا استطاع أن يفتح نافذته المطلة على أورشليم ويركع للرب، غير مبال أن يلقى في جب الأسود.

ينبغي أن يكون لكل إنسان هدف واضح ثابت. وإذا كان هدفه محدداً، أمكن أيضًا أن تتضح وسائله. أما الذي ليس له هدف ثابت فإنه لا شك يرتكب في كل سبله.

يعجبني في حياة القديس أرسانيوس أنه كان يضع هدفه دائمًا أمام عينيه. لذلك كان- بين الحين والأخر- ينادي نفسه قائلاً: "تأمل يا أرساني ما خرجت لأجله".

يوحنا المعمدان كان له أيضًا هدف ثابت، وهو أن يهدي طريق الرب، وبعد له شعراً مستعدًا. لذلك وضح منهجه في العمل.

لقد نادى بالتوبة، في حزم وفي غير مجازة، لأنه بهذا يعود طريق الرب. ولو أدى الأمر إلى قطع رأسه...

الأهداف في الدنيا كثيرة جدًا لا تنتهي، ولكن سعيد من كان له هدف واحد فقط، وهو الرب، وليس غيره.

قال بولس الرسول: "ليّ الحياة هي المسيح"، المسيح هو حياتي، هو هدفي، إن بعثت عنه ضعف. من أجل هذا استطاع أن يقول: "خسرت كل الأشياء، وأنا أحس بها نهاية، لكي أربح المسيح". نعم من كانت حياته هي المسيح، يرى الموت ربًا.

كثيرون يسألون: "ما هو هدفنا من الحياة؟" لأنهم يعيشون بلا هدف، أو يجهلون هدفهم! أو أنهم لم يجعلوا الله هدفهم...

الهدف معروف وهو الله. والأجدر هو السؤال عن الوسائل... عندما نبعد عن الله، وندخل في حياتنا أهدافاً عالمية، حينئذ نضل الطريق.

قال بولس الرسول: "لم أعلم أن أعرف شيئاً بينكم، إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً (1كو2: 2). إنه هدف واحد محدد لا يحيط عنه..."

ابراهيم أبو الآباء لما جعل الله هدفه، استطاع أن يترك وطنه وأهله وبيته، وسهل عليه يقدم ابنه محرقاً.

كل هذه أمكنه أن يتركها، لأنها ليست أهدافه... ولما اختلف رعااته مع رعاه لوط، ترك له الحرية أن يختار ما يشاء من الأرض، لأن الأرض ليست هدفه. الهدف واحد، وهو الله...

إن كان هدفك هو الله تستطيع أن تستعيني عن كل شيء، كما قال بطرس للمسيح: "تركتنا كل شيء وتعناك".

"من أحب أباً أو أمًا أكثر مني، فلا يستحقني". هكذا قال الرب. وقال أيضًا: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك" (تث6: 5). واستعمل الكتاب تعبير (كل)، لأنه لا هدف سوى الله وحده.

أخشى أن يكون العالم قد وضع أهدافاً كثيرة في طريقنا.

إن الشيطان يحول في الأرض يوزع أهدافاً، ويبذر أغراضًا وأمالاً وشهوات... وأول هدف يقدمه الشيطان هو الذات...

منذ البدء، والذات هي الهدف المنافس لله...! منذ أن قال الشيطان: "أصعد إلى السموات، أرفع كرسيي فوق كواكب الله، أصير مثل العلي" (أش14: 14).

إنها الذات التي صارت هدفًا: أنا أصعد، وأنا أكون، وأنا أصير... ونفس هذه الحرب، هي التي قدمها الشيطان للإنسان.

آدم وحواء كان هدفهمما هو الله ومحبته، فحوله الشيطان إلى الذات، وألوهية الذات، ومعرفتها المساوية لمعرفة الله!

كم صاع أناس جعلوا المعرفة هدفهم، المعرفة التي تنفح...

حارب الشيطان بها آدم وحواء. لأن الشيطان (كاروب)، واحد من طائفة الكاروبيم. وكلمة (كاروبيم) عبرانية معناها (ملء المعرفة). والعجيب أن الإنسان- لما أكل من شجرة المعرفة- صار جاهلاً. لأنه التمس معرفته من مصدر بعيد عن الله...

من الأهداف الجبارة التي وضعها الشيطان أمام الناس: اللذة...

كم من أناس هدفهم أن يلتذوا، وأن يتمتعوا... بل صارت اللذة فلسفة عند الابيقوبيين، لذة الجسد والعين وتعظم المعيشة... صار هدف هؤلاء هو اللذة بكل أنواعها، لذة الحواس، ولذة المأكل والمشرب "لأكل ولشرب، لأننا غداً نموت".

ثم كثرت الأهداف في الدنيا، وفي طريق الرب أيضاً... تدخل في الخدمة، ويدخل الشيطان معك، يقدم لك أهدافاً.

هدف الشهرة في الخدمة، والألوهية والسيطرة، ومحبة المديح... كما لو كان مدح الناس لخدمتك، أهم من تأثير الخدمة وعملها في خلاص الناس.

وهكذا احتفى الله في الخدمة، وظهرت الذات. وهكذا أيضاً في عمق الحياة الروحية، كثيراً ما تكون الذات هي الهدف.

يصلّي الإنسان، لا لكي يتمتع بالوجود في حضرة الله، ويثبت في الله، والله فيه. وإنما لكي يصير "رجل صلاة". ويصوم لكي يتغوق في الصوم، لكي يرضى عن نفسه أنه عابد، أو لكي يرضى عنه الناس.

أصبح الطريق إلى الله هو الهدف، وليس الله...

ويسأل الله: أين أنا وسط أهدافك الكثيرة؟!

ونشعر أننا قد ضللنا الطريق، ونحتاج أن نراجع أهدافنا...

إن كان هدفك هو الله، فسينحصر اهتمامك في كل ما يتعلق بالله: ملكته، كنيسته، إنجيله، أولاده.

ولكن حذار من أن تخدع في الطريق، وتتحرف وسائلك. إنسان يقول إنه يحب الكنيسة، ويحب الإصلاح لنشر الملوك. ومن أجل الإصلاح: يشتم، ويتشاجر، ويدين غيره، ويتخاصل، ويذمر، ويفقد داعنته وتواضعه...

مسكين هذا الإنسان، أجدر به أن يصلح نفسه، قبل أن يصلح الكنيسة... لقد فقد الله فيما يتكلم عن الإصلاح.

لم يعد الله هدفه، إنما الإصلاح. وليس هذا هو الإصلاح بالحقيقة، لأن الإصلاح يبدأ أولاً داخل النفس وليس خارجها.

يصبح هؤلاء "الكنيسة". وتنظر إلى طرفهم، فلا تجدها تليق بأبناء الكنيسة، ولا بأعضاء في جسد المسيح، بغير اتضاع، بغير سلام... فتشعر أنهم فقدوا الهدف.

كل هدف يبعده عن خلاص نفسه، اعرف أنه خدعة من الشيطان... وكذلك كل وسيلة.

الشيطان يريد أن يضلك، حتى وأنت داخل الكنيسة، حتى وأنت تصلّي... كإنسان من فرط محبته لله، تغلبه الدموع في صلاته. فينسيه الشيطان محبة الله، ويذكره بالدموع، ويركز كل اهتمامه بها كدليل على الروحانية والعمق. وتتحول الدموع إلى هدف، أثناء الصلاة، ويختفي الله، وتبقي الدموع كمظهر من الاهتمام بالذات.

هل تظن إن الذين صلوا، صلوا جميعهم خارج الكنيسة. كلا، ففي داخل الكنيسة ضل كثيرون، وانفصلوا عنها وهم داخلها.

إن قصة الابن الصال دليل على هذا الأمر: ضل الابن الصغير خارج بيت أبيه، وضل الكبير داخل البيت والخدمة.

كان يخدم أبيه "ستين" هذا عددها". ومع ذلك لم تكن له محبة نحو أبيه ولا نحو أخيه، وتتكلم كأجير وليس كابن. ولم يفرج برجوع أخيه، ولم يشتراك مع الآب في فرحة، ولا مـأبـاه قـائـلاً: "لم تعطني قـط جـديـاً لأـفـرـحـ معـ أـصـدـقـائـيـ" (لو 15) لأنه ينسب إلى أبيه البخل وعدم التقدير. فعل كل هذا وهو مع الآب، وفي الخدمة، واهتم بأصدقائه، وبالجدي، وبفرحه، أكثر من الآب ومشيئته وحبه.

وهكذا فقد الابن الكبير هدفه، وهو في الخدمة "مع الآب"!

هذا الابن الكبير دخلت إليه أهداف أخرى: ذاته، ومركزه، وتقدير أبيه له، ولزوم تفوقه في الإكرام على أخيه... فضاع.

كم من أناس بدأوا الطريق بهدف سليم، هو ملکوت الله وبره، ثم انحرفوا إلى أهداف جانبية أهلكت أنفسهم.

كم من خدام بدأوا الخدمة بالله، وكملوها بالذات... بدأوا بمجده، وانتهوا بمجده أنفسهم. كان الله لهم هو الكل في الكل.. وقليلًا قليلاً احتفى الهدف الإلهي، وحل محله الروتينية، أو حل محله الذات، أو صارت الخدمة هدفاً في حد ذاتها، وليس وسيلة موصلة إلى الله!!

أو صارت الخدمة هدفاً لهؤلاء. ثم صار هدفهم نجاح الخدمة. وأصبح النجاح هو كل ما يشغلهم، وفي سبيله لجأوا إلى طريق علمانية أو دنيوية، وفقدوا الله.

لذلك علينا أن نراجع أهدافنا ووسائلنا، ونعرف مركز الله فيها، بكل دقة وبكل صراحة.

هل الله هو أحد الأهداف، أم الهدف الأول، أم الهدف الوحيدة؟ أم هو ليس هدفاً على الإطلاق.

هناك علامات توضح لك سلامية الهدف، وسلامة وسائله منها:

إنك لو خسرت كل شيء، وبقي لك الله، لا تحزن

ولو كان هدفك هو الله، فستعيش في سلام على الدوام

ولعل من الأمثلة الرائعة في هذا الأمر، يوسف الصديق

لقد خسر حريرته وباع كعبه، وخسر سمعته وألقى به في السجن، وخسر أيضًا أبويه وأخوته ووطنه، وعاش غريباً. ومع كل ذلك كان سعيداً، لأنه لم يخسر الهدف الوحيد الذي هو الله...

إن خسرت كل الأشياء، وبقي لي المسيح، فأنا أعني جميع الناس.

إننا نتعب حينما نفقد الهدف الإلهي "ونتخاذل لنا أهدافاً عالمية. إن العالم يتلذذ في جحيم الأهداف، وهو غير سعيد.

ولعل من أعجب المتابع في حياة الناس، أن الله يتحول من هدف إلى وسيلة، مجرد وسيلة لتحقيق أهدافهم. فإن لم يحققها لهم ثاروا وحددوا وتركوا الله والدين، وقد تكون أهدافاً خطأ!

ما أصعب أن نركز أهدافنا في هذا الزمن الذي ينتهي بعد قليل. ليتنا نهتم بما فوق، ونجعل أهدافنا لها طابع الأبدية...